**دراسة الحالة 21**

**معالجة أوجه التناقض بين صون التراث الثقافي غير المادي والمحافظة على القطع ذات الصلة به في الولايات المتحدة الأمريكية**

الصون هو ضمان استدامة التراث الثقافي غير المادي، أي الحرص على الاستمرار في أدائه ونقله بمبادرة من الجماعة المعنية ومن أجلها (الفقرة الفرعية 3 من المادة 2 من الاتفاقية). وتختلف تدابير صون التراث الثقافي غير المادي عن تدابير حماية التراث المادي والمحافظة عليه، وذلك على الرغم من أن التدابير الرامية إلى الحفاظ على منتجات أو أماكن ذات صلة بالتراث المادي (كآلة موسيقية أو بستان مقدّس) قد تشكّل في بعض الحالات جزءاً من خطة صون إحدى ممارسات التراث الثقافي غير المادي.

وتبين دراسة الحالة هذه أنه يجب التماس آراء الجماعة المعنية وموافقتها على التدابير المتعلّقة بالمواد أو القطع المرتبطة بالممارسات الحيّة للتراث الثقافي غير المادي وعلى صون الممارسات في حدّ ذاتها. وفي بعض الحالات، قد يؤدي الحفظ التقليدي لقطع طقسية أو عرضها في المتاحف إلى الإخلال ببعض ممارسات التراث الثقافي غير المادي. وفي دراسة الحالة هذه، لجأت إحدى الجماعات إلى المفاوضات والتشريع الوطني لاستعادة قطعها الطقسية، حرصاً على الاستمرار في أداء بعض الطقوس.

**إلها الحرب التوأم أهايودا (Ahayu:da)**

إن إلهَي الحرب التوأم أهايودا لدى جماعة زوني (Zuni) في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية هما عبارة عن منحوتتَين خشبيتَين عادةً ما يبلغ طول كلّ منهما قدمين أو ثلاثة أقدام (أي 0.6 أو 0.9 متر تقريباً). ويُنحت إلهَا الحرب التوأم في كل عام عند الانقلاب الشتائي كجزء من احتفال البركة. وتنحت "قبيلة الدب" الإله الأصغر سناً ماسيوي (Ma‘a‘sewi)، فيما تنحت "قبيلة الأيل" (Deer) الإله الأكبر سناً أويويوي (Uyuyewi). وتظهر المنحوتتان تصوراً تجريدياً لوجه وجسم ويدين، ويحيط بهما الريش وعيدان الصلاة والقرابين الأخرى التي توضع عند قاعدة المنحوتة. وترتبط المنحوتتان بارتسام "كهنة القوس" الجدد الذين يشكّلون مجموعة سياسية ودينية نافذة ضمن جماعة زوني. وتؤمن الجماعة بأن المنحوتتين تقدمان الحماية إليها وتضمنان الازدهار للشعوب كافةً.

وتُحفظ المنحوتات في أضرحة مقدّسة في الهواء الطلق على هضبات مسطّحة تحيط بقرية زوني بويبلو (Zuni Pueblo) ويخدمها كهنة القوس. ولا يحق سوى لمن في مرتبة الكهنة الدخول إلى الأضرحة. وعند إضافة منحوتات جديدة كلّ عام، تبقى المنحوتات القديمة في مكانها. ويؤدي تعرّض المنحوتات الأقدم إلى الظروف المناخية وتحلّلها في نهاية المطاف إلى تعزيز قوة منحوتات الأهايودا الجديدة. ولذلك، فإن الطريقة المناسبة للتعامل مع هذه القطع الطقسية لا تقضي بحفظ مادتها، وإنما بتركها تتحلل طبيعياً في الأضرحة الموجودة في الهواء الطلق.

**طلب جماعة زوني لاسترداد منحوتات أهايودا من مجموعات المتاحف**

أُخذ بعض هذه المنحوتات في أواخر القرن التاسع عشر وُوضع في مجموعات المتاحف أو بيع في السوق، مما أخلّ بوظيفة المنحوتات الطقسية. وأدركت جماعة زوني في السبعينيات، نتيجةً لعروض نظِّمت في المتاحف، أن عدداً من منحوتات أهايودا قد أزيل من موقعه. وبحلول عام 1978، أطلق القادة الدينيون في الجماعة حملةً مشتركة لإعادة المنحوتات كلّها إلى الأضرحة القائمة في زوني بويبلو. وشعروا بأن نقل المنحوتات من مكانها كان السبب وراء عذاب شعوب العالم آنذاك وأرادوا تصحيح هذا الوضع.

وما سهّل إعادة الأقنعة هو اعتراف القانون الاتحادي بأن منحوتات أهايودا الموجودة في المتاحف أو المجموعات الخاصة هي قطع دينية من الأملاك المشتركة للقبيلة المعنية ولا يمكن نقلها من الأضرحة التي وُضعت فيها. إلا أن أفراد جماعة زوني وبعض العاملين في المتاحف تخوّفوا من أن تتعرض المنحوتات المُعادة للسرقة مجدداً من الأضرحة غير المحميّة. ولذلك، تمّ اتخاذ تدابير أمنية وجرى توثيق المنحوتات في كل أضرحة جماعة زوني للحيلولة دون أي سرقات إضافية.

**مفاوضات الاسترداد**

تتطلّب بعض مفاوضات الاسترداد وقتاً أطول من مفاوضات أخرى. ففي حين أعاد متحف دنفر للفنون المنحوتات التي كانت في حوزته في غضون سنتَين، دامت المفاوضات مع متحف سميثسونيان (Smithsonian) أكثر من 9 سنوات. وتخوّف بعض المؤسسات من نشوء سابقة قانونية فيما يتعلّق بإعادة قطع من مجموعاتها أو تفكيك مجموعة كبيرة نتيجةً لخسارة قطع أساسية منها. وركّزت مؤسسات أخرى على ضرورة الحفاظ على المنحوتات بطريقةٍ محترفة، وذلك على الأقل إلى حين إنشاء متحف في زوني بويبلو.

وكان بعض أقنعة أهايودا التي اشتراها متحف سميثسونيان نسخاً لم تُستخدم أبداً في إطار احتفال البركة. وكانت جماعة زوني قد صنعتها خصيصاً لعالمة الأنثروبولوجيا ماتيلدا كوكس ستيفنسون لتأخذها إلى متحف سميثسونيان. وفي خلال مفاوضات الاسترداد في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، اعتبر متحف سميثسونيان أن هذه المنحوتات نسخ حصل عليها بطريقة شرعية. إلا أن قادة زوني اعتبروا أن لنسخ أهايودا دلالة طقسية شبيهة بتلك التي تحملها المنحوتات الأصلية وأنه لا يجدر إذن عرضها في المعارض. ولذلك، أرادوا استرداد المنحوتات كلّها وبعض القطع الأخرى التي تحمل دلالةً دينية حالية. ولم يعترضوا على احتفاظ متحف سميثسونيان بمصنوعات دينية أخرى لم تعد تستخدمها جماعة زوني. وأجمع الطرفان على أن المجموعة تحتاج إلى رعاية تأخذ في الاعتبار الحساسيات الثقافية لجماعة زوني.

وبحلول عام 1992، كانت مفاوضات جماعة زوني قد أفضت إلى استعادة 69 منحوتة من منحوتات أهايودا، استُرجعت 54 منها من المتاحف و10 من مجموعات خاصة و3 من معارض فنية خاصة واثنتان من مزادين علنيين. وبفضل قانون حماية مقابر السكّان الأصليين الأمريكيين واستعادة القطع المرتبطة بها، الصادر في عام 1990، باتت عمليات الاسترداد أسهل.

وتمكّنت جماعة زوني من إعادة المنحوتات إلى الأضرحة لكي تواصل تحلّلها التدريجي، فأعادت إليها وظيفتها ومعناها الطقسيَين.

**لمزيد من المعلومات، انظر:**

* Ferguson, T. J. 1990. ‘The Repatriation of Ahayu:da Zuni War Gods: An Interview with the Zuni Tribal Council on April 25, 1990’. Museum Anthropology, Vol. 14, No. 2, pp. 7–14.
* Johnson, G. 2002. ‘Tradition, Authority and the Native American Graves Protection and Repatriation Act’. Religion, Vol. 32, No. 4 (October), pp. 355–81.
* Merrill, W. L. et al. 1993. ‘The Return of the Ahayu:da: Lessons for Repatriation from Zuni Pueblo and the Smithsonian Institution’. Current Anthropology, Vol. 34, No. 5 (December), pp. 523–67.
* Yu, P. K. 2008. ‘Cultural Relics, Intellectual Property and Intangible Heritage’. Temple Law Review, Vol. 81.